جمال الدين شرقاوي وتطبيق إتيمولوجيا في علم الأديان

علي زلماط - طالب دكتوراه

إن الاختلاف في النتائج بين الدراسات الإسلامية والدراسات الغربية للأديان راجع بالأساس إلى نُكُول الدارسين الغربيين عن التعامل مع المادة القرآنية، رغم تلك الجهود التي قامت بها في تحليل نصوص الكتاب المقدس، وفك رموزها وطلاسمها، والكشف عن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت وراء تشكل العقائد المسيحية على مر تاريخها الطويل. بخلاف الدارسين الإسلاميين (بالمعنى الانتماء الديني وليس الإيديولوجي) الذين اتخذوا القرآن الكريم مصدرا ومنهاجا في دراسة الأديان بصفة عامة بالمعنى الأكاديمي والدراسة الموضوعية، وليس تلك الكتابات التي يغلب عليها الحماسة الدينية، كرد فعل غير مدروس تجاه الواقع الحضاري التي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم.

من بين هؤلاء الدارسين المسلمين الذي درسوا الأديان من خلال العودة إلى حقيقة الوحي القرآني الثابتة والاستعانة بالمناهج العلمي الرصين، الدكتور التونسي سامي العامري، المعروف بكتاباته المتنوعة في هذا المجال، والباحث والمؤرخ فاضل الربيعي، وكذلك المؤرخ السوري سهيل زكار...، ثم الباحث المصري جمال الدين شرقاوي (موضوع هذه الورقة العلمية)، الذي ركز في دراساته للأديان على الدراسات اللغوية، وبالأخص العلم الإيتومولوجي.

اختيارنا لهذا العَلَم دون غيره يعود بالأساس إلى الجانب العلمي الذي يطبع كتاباته المختلفة، واجتهاداته المتنوعة والفريدة من نوعها، التي يكاد ينفرد بها عن باقي الباحثين، والتي أثارت حفيظة المسلمين والمسيحيين على السواء، فقد استخدم العلم الإيتومولوجي لدراسة كثير من القضايا التي تعد جوهرية لدى المسلمين والمسيحيين، أهملت في نظره نتيجة التقليد والتسليم دون البحث أو التمحيص، سواء من قبل رجال الدين أو الباحثين المسيحيين، أو من قبل المسلمين عامة، وذلك من خلال توجيه الأنظار إلى أصول العبارات أو النصوص الكتابية مباشرة بلغة الأصل، بعد إعادة صياغتها وتصويتها لغويا من الترجمات اليونانية واللاتينية والإنجليزية والعربية. من قبيل مثلا، لا على الحصر، الإنجيل هل هو كتاب أم بشارة وذلك من خلال العودة إلى المعنى الأصلي للكلمة في لغتها الأصلية، ومسألة النسب اليسوعي هل ينسب إلى الناصري أم إلى النصراني، وقضية يسوع بن مريم أم عيسى بن مريم، ثم اسم الدين الذي جاء به السيد المسيح عليه السلام من خلال نصوص العهد الجديد، وغيرها من القضايا التي أثارها هذا الباحث، والذي يعد هو أول من قام بالبحث فيها.

وإني هنا لن آتي على ذكر كل القضايا التي أثارها الباحث جمال الدين شرقاوي جملة وتفصيلا، سواء بالدراسة الوصفية أو النقدية، وإلا لتطلب لذلك الأمر سفرا ضخما أو سفرين أو أكثر، وإنما سيكون اهتمامي مركزا على بعض القضايا، باختيار عشوائي مني وليس علمي بالأساس. ولهذا ستقسم هذه المداخلة إلى ثلاث محاور كبرى: المحور الأول: تعريف إتيمولوجيا، المحور الثاني: تعريف جمال الدين شرقاوي ومشروعه الفكري، ثم المحور الثالث الذي سيخصص لتطبيق جمال الدين شرقاوي لعلم إتيمولوجيا في مجال دراسة الأديان، لمعرفة المعنى الأصلي لكلمة الإنجيل، ومعنى وترجمة كلمة "المسيا" الواردة في سياق نبوءات العهد القديم.

المحور الأول: تعريف "إتيمولوجيا"

يعد علم الإتيمولوجيا أحد الفنون العلمية التي تتجاذب علوم وحقول لغوية كثيرة، كفقه اللغة وعلم المصطلح واللسانيات...، لأنه يهتم بالبحث في أصول وجذور الألفاظ وصيغها[1]. فهو بشكل أو بآخر يتحقق من المعنى الأساسي ويتناول كيفية تطور الكلمات تاريخيا[2] منذ نشأتها مبيناً ما طرأ عليها من تغيرات صرفية أو صوتية أو دلالية، لا في اللغة الواحدة فحسب، بل في الفصيلة أو الأسرة اللغوية التي تنتمي إليها[3]. ويعود أصل كلمة "إتيمولوجيا" إلى اللغة الإنجليزية المأخوذة عن اللغة اليونانية عن طريق اللغة اللاتينية، فإن الكلمة الأصلية في اللغة اليونانية القديمة هي (Etymologia) ἐτυμολογία، وهي مكونة من مقطعين اثنين: المقطع الأول Etymosويعني الحقيقة، والمقطع الثاني logos اللفظ المشترك، المستخدم هنا بمعنى الكلمة، ومن تم يكون معنى كلمة إتيمولوجيا هو: "المعنى الحقيقي للكلمة"[4] True meaning.

يسميه العرب قديما من اللغويين والنحويين بـ"الاشتقاق" أو علم الاشتقاق، من حيث تبيان اشتقاق من الجذر والأصل[5]، ويطلق عليه في عصرنا الحالي "علم التأثيل" أي الدلالة على الأصل، المأخوذ من كلمة "أثل: أثل كل شيء أصله...وتأثيل: تأصيل...وكل شيء قديم مؤصل:

[1] الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، سليم عواريب، مجلة مقاليد العدد 09، ديسمبر 2015، ص:124

[2] الاشتقاق اللغوي وجوانب متعلقة به لدى اللغويين والنحويين العرب القدامى، مراد موسى، المجلة (مجمع اللغة العربية حيفا)، عدد 4، 2013، ص: 138.

[3] أصول كلم (علم)، عصام الحسيني، موقع الموسوعة العربية، https://www.arab-ency.com

[4] الاشتقاق اللغوي وجوانب متعلقة به لدى اللغويين والنحويين العرب القدامى، مراد موسى، ص: 138

[5] نفسه، ص: 138

أثيل ....والتأثيل: التأصيل، فتأثيل الكلمة أصلها الأول؛ كأن تكون من لفظة أخرى أو لغة أخرى[1].

وقد أقر الباحث "عبد الحق فاضل" أن علم التأثيل عربي أصيل، إنما نعت بأنه علم أوربي لأن الأوربيين أوْلوْه اهتماما وعناية بالغتين، لأنهم كانوا يؤثلون لألفاظهم التي انحدرت من لغات أخرى[2]. ويعد الفيلسوف اليوناني "أفلاطون" من أوائل الباحثين في هذا المجال، ومنهجه يقترب كثيرا من المفهوم المعاصر لهذا العلم، وقد ناقشه في حواراته المسمى "كراتيلوس" Cratylus. ثم جاءت محاولات عدة لتطوير هذا العلم، عبر التاريخ، أمثال:"دانتي Dante" 1265-1321 في كتابه De vulgaris eloquentia، و العالم الفرنسي "جوزيف سكاليجيه Scaliger" 1540-1609، وبعد قرن من الزمن جاء الفيلسوف الألماني " ليبنيتز Leibnits " 1646-1716، الذي استهوته اللسانيات التاريخية فذهب إلى أنه لا مسوّغ لاستبعاد الفرضية التي تقول بأصل واحد لجميع لغات العالم، علماً بأنه لم يحاول قط أن يبحث عن مثل هذا الأصل.

وتعد سنة 1786 سنة انطلاقة علم تأصيل اللغوي حسب قول روبنز Robins في كتابه "موجز تاريخ اللسانيات"، ففي هذه السنة أعلن المستشرق البريطاني "السيد وليم جونز Sir William James" كشفه علاقة تاريخية لا يرقى إليها الشك بين السنسكريتية، لغة الهند التقليدية، واللغات اللاتينية واليونانية والجرمانية، إذ قال :"إن الوشائج التي نلاحظها بين السنسكريتية من جهة، واليونانية واللاتينية، من جهة أخرى، من حيث جذور أفعالها وصيغ قواعدها النحوية، هي أوثق من أن تكون قد نتجت بالمصادفة المحضة، بل إنها وثيقة بقدر لا يملك معه أي فقيه لغوي يتأمل اللغات السنسكريتية واليونانية واللاتينية إلا أن يخلص إلى أنها قد أتت من أصل واحد قديم، ليس من المستبعد أن يكون قد عفى عليه الزمن"[3]. ليتطور هذا العلم بعده على يد اللغويين والعلماء الذين استهوتهم تاريخية اللغة وتطورها، حتى أصبح لهذا معاجم كثيرة، لكل لغة من اللغات الأوربية، على حدة، كاللغة الإنجليزية مثلا، التي عرفت في العقود الأخيرة، وبالإضافة إلى المعاجم التاريخية على الشبكة العنكبوتية، معاجم كثيرة، أشهرها:

- The New Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles. Two Volumes (1993)
- The Chambers Dictionary, 1998
- Collins English Dictionary, 1998

[1] الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، سليم عواريب، ص: 124

[2] نفسه، ص: 124

[3] أنظر: أصول كلم (علم)، عصام الحسيني، موقع الموسوعة العربية، https://www.arab-ency.com

المحور الثاني: تعريف بالباحث "جمال الدين شرقاوي":

جمال الدين شرقاوي عميد ومهندس سابق في الجيش المصري، تخصص كهرباء ومعدات طائرات، من مواليد 1944م، باحث في مجال دراسة الأديان، عرف بمؤلفاته العديدة في هذا المجال، والتي أثارت حفيظة المسيحيين والمسلمين على السواء.

تعود بدايات الأولى لاهتمام الباحث جمال الدين شرقاوي بهذا العلم إلى ستينيات القرن الماضي أثناء حرب الاستنزاف، إذ يقول عن نفسه:" منذ الستينيات من القرن الماضى ، أثناء حرب الاستنزاف مع العدو الإسرائيلى . كان معى من رفقاء السلاح مسيحيين (ولا أقول نصارى للفارق الكبير بين الكلمتين) ونحن على الخطوط الأمامية من جبهة القتال ، فكنت أتساءل عن مصير مَن يموتون منا (كانوا يقولون لنا شهداء مع أن بيننا مَن ليسوا بمسلمين أصلا ..!!) وكنت فى تلك الآونة قد تتلمذت على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه (ابن القيم ، الذهبى ، ابن كثير ، .. الخ) رحمهم الله تعالى وكنت أعلم جيدا معنى الشهادة فى سبيل الله وموجباتها . وحولي نصف آيات القرآن الكريم تتحدث عن أهل الكتاب وبنى إسرائيل وعن اليهود والنصارى والمجوس والمشركين ، فلِمَ لا أقرأ عن هؤلاء الناس وأعرف عقائدهم من كتبهم .

وبدأ الانقلاب فى الفهم والقراءة عقب اكتشاف مخطوطات قمران ونشر مكتبة نجع حماد ووجدت الفرصة سانحة لمعرفة لغات هذه الكتب التي كانت مخفية في باطن الأرض من قبل ظهور الإسلام . وعرفت أن لغة المسيح وقومه فى فلسطين كانت الآرامية ، فحاولت أن أتعلمها فاقتنيت كتبها وهى باهظة الثمن لأنها أجنبية ولم تترجم إلى العربية حتى الآن . ووجدت أنها نفس اللسان الذي نتكلمه في حياتنا المعاصرة (حوالي 70 % من المفردات) ولكن بعيدا عن المدن الكبيرة . ولكن لا يمكننا قراءتها لأن الخط والرسم وقواعد قراءتها ليسوا كالعربية. وشدني الموضوع كثيرا ..!!"[1].

وقد انطلق الباحث في دراساته للكتب المقدس بعمل ومنهج خاص، اختاره لنفسه، سماه بـ"العودة إلى الأصل بفكر العصر". هذا المنهج الذي كان خلاصة لثلاث عناصر من الكتب والمؤلفات التي أثرت فيه، والتي يمكن أن نجملها في ثلاث نقط، وهي: **1**) التأصيل للمنهج السلفي : يمثله كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه (ابن القيم ، الذهبي ، ابن كثير) . **2**) التأصيل لأصول الدين : يمثله الإمام الشاطبي في موافقاته واعتصامه. **3**) اصطياد الأفكار من واقع الحال : يمثله أبو الفرج الجوزي[2].

[1] حوار مع البحاثة جمال الدين شرقاوي، موقع مكتبة المهتدين، 18-06-2013، www.al-maktabeh.com/play?catsmktba=2373

[2] نفسه

ويعد الباحث جمال الدين شرقاوي من أغزر الباحثين تأليفا في المسيحية، وكذلك في الديانة الإسلامية، أهمها:

1. أهم مؤلفاته في المسيحية: "الإنجيل كتاب أم بشارة...."؟، "عيسى أم يسوع، المسيح الهاروني أم المسيح الداوودي" ، "المسيح والمسيا"، "المسيح أم نبي، التوراه مصرية"، "يسوع النصراني مسيح بولس"، "نبي أرض الجنوب"، "معالم أساسية في الديانة المسيحية"، "قضايا مثيرة في الإسلام والمسيحية"، "يحيى أم يوحنا"، "من قتل يسوع"، "اسم الدين الذي جاء به"، "المسيح عليه السلام"، "المؤيد القرآني والباراقليط الإنجيلي"، "الرد الوجيز على القس فريز"، "كلمة التوحيد في الأصول المسيحية"، "ولكن شبه لهم"....

2. أهم مؤلفاته في الإسلام: "هذا عطاؤنا في الرضاع"، "العشرة المبشرون بالجنة"، "أهل الصفة"، "ذو القرنين وياجوج وماجوج"، "يا ليت قومي يعلمون...؟"، "كشف النقاب عن مزاعم عبد الوهاب"، "الخطاب الديني والتيارات الثقافية المعاصرة"...

المشروع الفكري لجمال الدين شرقاوي

وكما أشرنا سابقا في مقدمة هذه المداخلة أن الباحث جمال الدين شرقاوي أغنى الساحة العلمية، الخاصة بمجال الدراسات النقدية للأديان، بكتاباته المتنوعة وباجتهاداته الفريدة، التي انفرد بها، والتي أثارت حفيظة المسيحيين والمسلمين في بعض القضايا، لكونها قضايا جوهرية لكلا الفريقين، أهملت من قبل الدارسين والعلماء والباحثين ورجال الدين، نتيجة التقليد والتسليم لأقوال السابقين من رجال الدين والعلماء، وذلك عبر توجيه الأنظار إلى أصول العبارات والنصوص الكتابية بلغاتها الأصلية، بعد إعادة صياغتها وتصويبها لغويا من الترجمات اليونانية واللاتينية والإنجليزية والعربية.

فقد كان الباحث جمال الدين شرقاوي في دراسته لعديد من القضايا الكتابية هو السباق لدراستها لم يسبق إليها، حيث يقول عن نفسه:" فكتبت عن موضوعات كتابية جديدة عالجتها بطريقة جديدة لم أسبق إليها بفضل من الله ومنة منه على عبده الضعيف. موضوعات عقدية مفصلية لم أناقش فيها قضايا التثليث أو تأليه المسيح أو الصلب وما شابه ذلك من قضايا ساخنة كتبت فيها آلاف الكتب من الطرفين بين هجوم ودفاع"[1].

[1] ولكن شبه لهم نقض أسطورة صلب المسيح وقيامته، جمال الدين شرقاوي، الناشر مكتبة النافذة، الطبعة الأولى 2006، د ت، ص: 8.

ويضيف قائلا للتوضيح أكثر:" فلجأت إلى الكتابة عن معالم أساسية ضاعت من العقيدة المسيحية الراهنة، وبينتها وأوضحت مدلولها اللغوي في المصادر المسيحية اليونانية، وتتبعت التغيرات التي أدت إلى ضياعها عبر التاريخ المسيحي تحت نشوة وسيطرة أفهام علماء اللاهوت"[1].

فجل كتاباته وأبحاثه تندرج ضمن البحوث اللغوية، التي تتناول المدلول اللغوي لقضية من القضايا التي يتناولها بالدراسة في المصادر المسيحية اليونانية واللاتينية والإنجليزية وكذا العربية، وذلك بتتبع التغيرات التي طرأت عليها عبر التاريخ نتيجة التحريفات التي يتعرض لها الكتاب المقدس، أو ضياع المعاني الحقيقية لتلك القضية قصدا أو سهوا، وذلك من خلال العودة إلى أصل الكلمة في لغتها الأصلية التي تحدث بها السيد المسيح عليه السلام، ألا وهي اللغة الآرامية ذات اللسان العربي القديم حسب رأيه، "فاللغة بالنسبة للباحث هي أساس الفهم والتفهيم والفكر والتفكير وخصوصا إن كانت هي لغة الإنجيل التي نادى بها المسيح قومه من بني إسرائيل بالتوبة والإيمان بالإنجيل، أقصد اللغة الآرامية ذات فرع شجرة اللسان العربي القديم"[2]، التي كانت سائدة بالأراضي الفلسطينية إبان بعثة السيد المسيح عليه السلام باعتراف العلماء المختصين، ولست العبرية المعروفة اليوم كما يظن البعض، لأنها لم تكن ظهرت عصر يحي والمسيح عليه السلام[3].

اهتمام الباحث جمال الدين الشرقاوي بالدرس اللغوي لكثير من القضايا التي لم يبحث فيها ولم تدرس من قبل، جعل من أبحاثة كلها تهدف إلى قراءة النصوص قراءة جديدة من أصولها إلى فروعها رغبة في الوصول إلى ثمارها، إنها قراءة كما يحلو أن يسميها تهدف إلى العودة إلى الأصل بفكر العصر، تزيل الغموض من حول النصوص، وتذهب الضباب الكثيف من حولها، ليتعرف عليها القارئ الكريم بشفافية عن قرب، دون حواجز كنسية وقوانين لاهوتية[4].

فهي بحق كتابات وأبحاث جديدة في مادتها، لأنها تقوم أساسا على توجيه الأنظار إلى أصول النصوص والعبارات الكتابية مباشرة، بلغتها الأصلية بعد إعادة صياغتها وتصويتها لغويا من اللغة اليونانية والترجمات اللاتينية والإنجليزية والعربية، أي أنها بمعنى دراسة تصحيحية

[1] نفسه، ص: 8.

[2] هاروني أم داوودي، جمال الدين شرقاوي ، الناشر مكتبة النافذة، الطبعة الأولى 2006، ص:6.

[3] يحي أم يوحنا، دراسة جديدة حول النبي الحصور يحي بن زكريا عليه السلام، جمال الدين شرقاوي، مركز التنوير الإسلامي، دت، دط، ص:6

[4] أنظر: المسيح والمسيا مبحث جديد، جمال الدين شرقاوي، الناشر مكتبة النافذة، الطبعة الأولى 2006، ص:3

لقراءة الموروث، تقوم على الفحص والنقد والتحليل، وليست بدراسة تقليدية التي تحفظ وتردد دون فهم أو وعي[1].

هذا وإن جمال الدين شرقاوي في العديد من أبحاثه حول المسيحية الحالية لم يحاول أن يفرض فيها رأي الإسلام بطريقة مباشرة، ولم يلج فيها إلى الموضوعات المعروفة والمطروقة من الطرفين الإسلامي والمسيحي، وإنما لجأ فيها جميعا إلى إبراز الجديد المفيد الصحيح للمسلم والمسيحي على السواء، بما يتوافق مع أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة[2]. إذ يهدف الباحث بهذه الأبحاث العلمية إلى خدمة الحقيقة، من خلال العقل قبل القلب عند إخوان الصدق من المسيحيين، وتوثيق أواصر اليقين والعلم في قلوب إخوان الحق من المسلمين، فهو يهدف إلى ربط جسور الحوار والتواصل المفعم بالنشاط، والمبني على أسس علمية رصينة، بين مختلف أتباع الأديان الأخرى، وخاصة أولائك الذين نتشارك معهم المواطنة، كما أنه ومن خلال هذه الأبحاث يهدف إلى إعادة النظر في كثر من روايات المفسرين المسلمين، وبالأخص في هذا المجال، وضرورة أخذ الحذر أثناء الاستدلال، لأن إيراد المفسرين لكثير من الروايات هو من باب حكاية مختلف الآراء، ومحاولة تفسير المبهم احتمالا لصحتها وليس للقطع بصحتها[3].

المحور الثالث: تطبيق علم الإتيمولوجيا في علم دراسة الأديان

للإجابة عن إشكاليات هذه المحاور التي قد طرحها الباحث جمال الدين شرقاوي في أبحاثه، بدأ الباحث بسبر غور نصوص العهد الجديد كاملة، للبحث عن مفردات تدل على الإنجيل والمسيح والمسيا، من خلال النص اليوناني ، والترجمات اللاتينية والإنجليزية، والعربية في بعض الحالات، إلا لغرض بيان خوار مترجمي العرب، ونيتهم المبيتة، في عدم توضيح الأمور كما هي للمؤمن المسيحي العربي، ثم تتبع هذه المفردات والكلمات وبيان معانيها، انطلاقا من النص اليوناني، والرجوع بها إلى أصلها الآرامي، للبحث عن المعنى الأصلي، ذلك أن اللسان الآرامي حسب تعبير الباحث هي اللغة السائدة في فلسطين أيام السيد المسيح عيسى عليه السلام، وهي اللغة التي يمكن أن نحتكم إليها لبيان معاني الكلمات والعبارات التي تكلم بها السيد المسيح أمام تلاميذه، وبما أن هذه اللغة اندثرت ولم يبقى لها أثر، وكونها لغة سامية، تنتمي إلى اللغات السامية، فلابد أن تكون هذه العبارات مشتركة معنى ولفظا مع تغيير طفيف بين مختلف أفراد هذه العائلة اللغوية، وأقربها اللغة العربية، لذا فالبحث عن معاني هذه العبارات والمفردات سيكون في ظل اللسان العربي القديم كما يسميه الباحث.

---

[1] نفسه، ص:3

[2] أنظر: ولكن شبه لهم نقض أسطورة صلب المسيح وقيامته، جمال الدين شرقاوي، ص: 7.

[3] نفسه، ص : 10، 13.

أولا: الإنجيل كتاب أم بشارة؟[1]

يختلف تعريف الإنجيل بين المسلمين والمسيحيين، فإذا كان المسلمون يعتقدون بأن الإنجيل كتاب الله الذي أنزل على الرسول عيس بن مريم، فإن المسيحيين على عكس ذلك، فهم على ثلاثة آراء، حسب المستوى العلمي والثقافي، فعامتهم يرون أن الإنجيل هو مجموع كتب العهد الجديد ورسائل بولس، وعند أنصاف المثقفين، هو الأناجيل الأربعة المجتمعة معا، أما عند المثقفين والمتخصصين من العلماء والقساوسة، فالإنجيل عندهم مفهومان، مفهوم مجازي بمعنى أن الإنجيل هو مجموع الأناجيل الأربعة، ومفهوم حقيقي بمعنى أن الإنجيل ليس بكتاب أصلا، وإنما هو عبارة عن الأخبار السعيدة والبشارات السارة التي جاء بها السيد المسيح، وهذه البشارات السارة هي المجيء للسيد المسيح إلى عالم البشرية وتحمله للعذاب المهين، ثم موته على الصليب، ثم دفنه وقيامته من الموت حاملا معه أوزار الناس جميعا، أي الخطيئة التي ورثوها عن أبيهم آدام. وهذا ما جعل الباحث جمال الدين شرقاوي يطرح تساؤلا أو إشكالية في كتابه "معالم أساسية في الديانة المسيحية"، وبالضبط في المبحث الخاص والموسوم بـ"الإنجيل"، هي هل الإنجيل كتاب كما يعتقد المسلمون؟ أم هو مجرد بشارة وأخبار سارة، وليس بكتاب أصلا كما يعتقد المسيحيون؟

وللإجابة على هذه الإشكالية لزم الباحث جمال الدين شرقاوي نفسه أن يسلك الدراسات اللغوية، وذلك من خلال العودة إلى المعنى اليوناني بحكم أن اللغة اليونانية هي لغة أصول أسفار العهد الجديد، ثم البحث عن المعنى الأصلي في اللسان العربي القديم، لكون اللسان الآرامي حسب رأي جمال الدين، جزء لا يتجزأ من اللسان العربي القديم، وهو ما يسمى عند الأكاديميين بالأسرة اللغوية السامية.

وقد لاحظ الباحث جمال الدين أن اختلاف المسيحيين عنا في تعريف الإنجيل بكونه بشارة أو خبرا سار، ينطلق من تشبثهم بالمعنى اليوناني دون الآرامي، ذلك أن كلمة الإنجيل بالصيغة اليونانية تختلف عن المعنى العربي أو الآرامي كلية، سواء من ناحية بنية الكلمة، من ناحية المنطوق الصوتي. إذ وردت كلمة "الإنجيل" في الأصول اليونانية لأسفار العهد الجديد بثلاث كلمات أو ثلاث صيغ؛ وهي: الصيغة الفعلية ευαγγελιζω (يو أنج جهيل يد زو) ، و الصيغة الاسمية ευαγγελιψ (يوانجهليون)، التي تترجم إلى Gospel الإنجليزية، وكلمة ευαγγελιον (يوانجهليس)، التي ترد بمعنى إنجيل في النسخ العربية، و Gospel في النسخ الإنجليزية، مع

[1] معالم أساسية في الديانة المسيحية، جمال الدين شرقاوي، كتاب بصيغة PDF على الموقع: www.muslim-library.com، مبحث: "الإنجيل"، الصفحات من 121 إلى 243.

وجود فرق في المعنى المراد، ثم الصيغة الثالثة وهي ευαγγελιστης (يوانجهليسش)،بمعنى القائم على تعليم الإنجيل أي معلم الإنجيل.

وإذا ما قورنت هذه المعاني بالمعنى الأصلي للكلمة ευγγελιον يوانجهليون في اللغة اليونانية القديمة، سنجد أن المعنى القديم للكلمة حسب المراجع المسيحية الإنجليزية الكتابية المتخصصة، هو الهدية أو المكافأة التي تقدم لحامل الخبر السار، والذي تحول المعنى مع مرور الزمن، في اللغة اليونانية المتأخرة إلى الخبر أو النبأ السار. فالبشرى بمولد إمبراطور تعد ευγγελιον يوانجهليون، وكذلك خبر إعتلائه العرش يسمى ευγγελιον يوانجهليون، وخبر انتصاره في الحروب يعد ευγγελιον يوانجهليون.

وقد تبنى مسيحيو العالم هذا المعنى وطبقوه على المسيح عليه السلام (الإله والمخلص) بدلا من الإمبراطور الروماني. ثم تطور المعنى بعد ذلك لتصبح حادثة بعثة المسيح عليه السلام هي الإنجيل، تم تطور ليصبح الإنجيل هو شخص المسيح.

هذا من ناحية المعنى، أما من ناحية البنية، فإن كلمة الإنجيل بالصيغة اليونانية ευγγελιον يوانجهليون تختلف عن الصيغة العربية "الإنجيل" ، فالصيغة العربية حسب الباحث جمال الدين نجد فيها حرف الجيم مخففا أي ليس عليه علامة الشدة الدالة على تكرار الحرف الكلمة، بخلاف الصيغة اليونانية، حيث حرف (γ) مكرر، مما يدل على الصيغتين أو الكلمتين مختلفتين في الجذر والبنية وكذلك المعنى اللغوي والدلالي. فمعاني كلمة الإنجيل حسب المعاجم العربية كلها تدور حول الجذر اللغوي (ن ج ل)، من نجل الشيء ينجله نجلا أي أظهره، ونجلت الشيء أي أظهرته، ونجله إذا استخرجه. أو من النجل أي الماء الذي يخرج من النزء، ومنه طعنة نجلاء أي واسعة، فسمي الإنجيل بذلك لأن فيه توسعة خلاف التوراة، وقيل كذلك للولد نجل فكأن الإنجيل فرع على التوراة، يستخرج منها.

لكن الباحث جمال الدين شرقاوي له رأي في هذا الأمر ، حيث يرى أن أي واحد من الباحثين دقق في معاجم اللغة العربية عن كلمة "إنجيل" لن يصل إلى نتيجة علمية يرضاها العلماء المستنيرون، لأن الجذر اللغوي (ن ج ل) وضع ارتجالا ولا دليل عليه مؤكد عند مؤلفي تلك المعاجم، وإنما هو اجتهاد حسب ما أتيح لهم من العلوم آنذاك. فكلمة "الإنجيل" حسب الباحث لا تنتمي إلى الجذر اللغوي (ن ج ل) ، الذي وضعوه مؤلفو المعاجم، وليست أعجمية، وإنما هي عربية صرفة، تنتمي إلى اللسان العربي القديم، فهي مركبة من كلمتين اثنتين، الأولى (إنج) والثانية (إيل)، حيث تنتمي إلى عائلة لغوية لأسماء عدة تنسب إلى إله السماوات السبع، الذي كان يطلق عليه قديما من قبل العرب القدماء باسم "إيل"، قاب إيل، إسمع إيل، إسراء يل،...وعلى هذا المنوال يمكن قراءة الاسم "إنجيل" هكذا "إنج- يل" دون تكلف منا.

فمعنى الكلمة "إنج" حسب الباحث في اللسان العربي إما من الجذر (ن ج و)، بتخفيف الجيم بمعنى المناجاة، وإما أن تكون من الجذر (ن ج ى) بتخفيف الجيم بمعنى النجاة، وحيث ان الكلمة الثانية "يل" تشير لى الله تعالى فيكون معنى اسم "إنجيل" هو (مناجاة الله أو نجاة الله) أو ما شابه ذلك، ومن ثم يكون معنى الإنجيل هو كتاب مناجاة الله أو كتاب نجاة الله، بمعنى أن القارئ في ذلك الكتاب يناجي الله، وأن المؤمن بذلك الكتاب ناج من عذاب الله.وكلمة "النجاة" هنا في أصل كلمة خلص مخلص عند المسيحيين، وعلى ذلك يكون الإنجيل هو كتاب خلاص الله للبشر ، وليس بمعنى البشارة السارة المأخوذ من الكلمة اليونانية ευγγελιον يوانجهليون.

ثانيا: المسيح والمسيا[1]

اسم هذا المحور هذا المحور هو اسم لكتاب مسقل ألفه الباحث جمال الدين شرقاوي، لغرض أن يجيب عن الإشكالية التالية: ما الفرق بين المسيح والمسيا؟

وقد جعل هذا الكتاب مشتملا على بحثين أساسيين، كل بحث يدور حول أصل وفصل كل كلمة على حدة، معناها ومغزاها في أصولها اللغوية، فكان الأول دائر ا حول كلمة المسيح، يشرح معناها الجديد المذكور في الأصول اليونانية للأناجيل عبر إعادتها إلى لغتها الآرامية الأم. والثاني دائر ا حول كلمة (المسيا)، يحاول أن يكشف عن وجه صاحبها، وذلك من خلال توضيح طريقة نطقها صوتيا حسب لغتها الأم، وكذا تاريخ ظهورها ودلالتها الأنتربولوجية. حيث توصل إلى نتيجة مفادها أن الكلمة تترجم خطأ في الترجمات العربية، فهي حسب رأيه ليست مَسَيَا أو مِسْيَا وإنما هي مِسِّيًا بالتشديد، طبقا للأصول اليونانية والآرامية. ثم بين هذا البحث أن كلمة مِسِّيًا تشير إلى شخصية كان ينتظرها يهود ني إسرائيل، شخصية من جنس بشري يختلف عن الجنس الإسرائيلي.

1: المسيح:

المسيح أو "مسيح" آرامية، ذات اللسان العربي القديم، كما هي عبرية، مشتقة من الفعل الثلاثي [مشح]، أم من الجذر اللغوي [م س ح]، التي تعني اللمس والتمسيد بالكف برفق، أي بالمعنى الحسي لا المجازي، وهي نفس المعنى للكلمة اليونانية χριστοζ التي تنطق "كريستو" أو خريستو"، بعد حذف اللاحقة الإعرابية من آخر الكلمة "ζ".

والمسيح هو الممسوح بالزيت أو الدهن المقدس، وهي عادة عرفتها شعوب العالم القديم، خاصة شعوب مصر وبابل، حيث كانوا يقومون بمسح تماثيل الآلهة، كعلامة لتكريس الآلهة،

[1] المسيح والمسيا مبحث جديد، جمال الدين شرقاوي، الناشر مكتبة النافذة، الطبعة الأولى 2006.
للاستئناس أنظر: معالم أساسية في الديانة المسيحية، جمال الدين شرقاوي، الصفحات من 76 إلى 125.

ومنهم انتقلت إلى اليهود. فالمسيح بالمعنى الديني في التراث اليهودي هو الممسوح أو المذهون بالزيت أو الدهن المقدس، وفق طقوس خاصة، وهو نفس المعنى في التراث المسيحي.

فقد ورد المسح في الكتاب المقدس بمعنى الزينة (راعوث 3:3)، والتطبيب (يعقوب 5: 14)، والضيافة (لوقا 7: 38)، ثم بمعنى العبادة، كمسح الملوك بالزيت المقدس (سليمان، وداو، ويوشع (صموئيل الأول 10: 16،10: 13)، ومسح الكهنة، كمسح هرون كاهنا (الخروج 30: 30)، ثم مسح الأنبياء، كمسح أليشع نبيا (الملوك الأول 19: 16)، ويكون هذا المسح –بمعنى العبادة- بزيت خاص، وبواسطة شخص معين، وبطريقة خاصة.

هذا وإن السيد المسيح باعتراف علماء المسيحية لم يمسحه أحد من قبل، لا بزيت مقدس ولا بذهن، ومع ذلك يظل السيد المسيح عيسى عليه السلام يحمل هذه الصفة، فكيف ذلك؟

إذا تأملنا أسفار العهد الجديد، وخاصة الأناجيل الأربعة، سنجد أن كلمة "المسيح" تحمل معنيين، لا علاقة لهما بما ورد في العهد القديم، المعنى الأول الخلاص السياسي (إنجيل لوقا: 1: 30-32) والمعنى الثاني إعجازي أو معجزة، حيث ورد في هذا الإنجيل كثير من الآيات هي معجزات، تنسب ليسوع كان يستخدم فيها فقط اللمس، فكان بمجرد أن يمسح بيده على أجساد المرضى تذهب عنهم الآفات ويصل الشفاء، (شفاؤه للأبرص،متى:8: 3، مرقس: 1: 41، لوقا 5: 12-14، وإحياؤه للموتى، لوقا 7: 11-17..)، فهو إذن المسيح الذي يمسح الآخرين، وليس هو الممسوح كما يقول علماء المسيحية. وهو نفس المعنى في اللسان العربي، ذلك أن كلمة مسيح، التي على وزن فعيل، تستخدم لمعنيين، لمعنى المفعول، مثل جريح وقتيل، ثم بمعنى الفاعل؛ وهي صفات ذوات مثل حكيم وكريم ورحيم وأمين، وهي جميعا صفات ذوات لها تعلق بالآخرين من حيث ظهور أثرها عليهم. ومن ثم تكون كلمة "المسيح" صفة للنبي عيسى عليه السلام، الذي يمسح الآخرين، قصد إزالة الآفات والأسقام والأمراض من الأجساد، بإذن الله.

2: المسيا

جاءت كلمة "المسيا" كما هو معلوم ضمن نصوص نبوءات العهد القديم، التي تشير إلى أحداث وشخصيات سوف تتحق أو تظهر في مستقبل الأيام، مثل "النبي شيه موسى" المكور في سفر التثنية (18:18) الذي سوف يتكلم باسم الرب، أو مثل شخصية كل من: البارإناس والشيالوه والباراقليط والمسيا وإيليا...وكلها رموز لشخص أو لأشخاص سوف يظهرون في مستقبل الأيام.

وهنا نجد علماء المسيحية يقولون عن نبوءات العهد القديم إنها نبوءات مسيانية ولا يقولون مسيحانية، ويعنون بها بشارات مسيحانية إشارة إلى المسيح عيسى عليه السلام..لكن والملاحظ أن المسيحيين استعملوا لفظة "المسيانية" ولم يستعملوا لفظة "المسيحانية" وذلك

راجع بالأساس إلى أنه لا توجد أصلا نبوءات مسيحانية باللفظ الظاهر. ويلاحظ كذلك في الترجمات العربية للكتاب المقدس، وفي جميع الكتب والمؤلفات المسيحية العربية، تستعمل مصطلح ("مسِّيًا) بطريقة خاطئة، حيث يكتب هكذا (مسَيًا) أو (مسْيَا) بتخفيف السين بدل من تشديدها خلافا للأصول اليونانية واللاتينية والإنجليزية. حيث أن هذه الكلمة تكتب في الأصول اليونانية وفي الترجمات الإنجليزية واللاتينية بالتصويت الفونولوجي للسان العربي القديم هكذا بهذه الطريقة μεσσια وتنطق (مسِّيًا).

لكن إرادة التحريف والتبديل لحقت الكلمة في معانيها عبر التاريخ المسيح الطويل، حتى بات علماء المسيحية لا يعلمون أصل هذه الكلمة وإلى أي لسان لغوي تنتمي، كما هو ظاهر في تعريف أصحاب قاموس الكتاب المقدس، إذ يقولون بأن مسْيا هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية مسْياس المأخوذة من الكلمة الآرامية مشيحا التي تعني المسيح، وكذلك نفس الشيء مع إبراهيم سعيد، حيث يقول:" الكلمة مسيا هي الصيغة اليونانية للكلمة الآرامية مشيحا والعبرية مشيح والعربية مسيح أي الملك العظيم الممسوح من الله والمنتظر من الشعب اليهودي".

فجهلهم بالمعني الأصلي للكلمة –كما يقول شرقاوي- دفعهم إلى الاعتقاد بأن كلمة (مسِّيًا) تعادل في المعنى كلمة (مسيح)، مع أن في الحقيقة جذرها اللغوي يختلف تماما عن جذر كلمة "مسيح"، ولا يوجد دليل لغوي واحد يؤكد ذلك القول. وهنا لا يقصد شرقاوي جميع العلماء، بالعكس، فهناك علماء مسيحيون متخصصون في اللغات الشرقية قرروا أن كلمة (مسِّيًا) المذكورة في العهد القديم تدل في الأصل على اسم جنس تم تحويلها في نصوص نبوءات آخر الزمان إلى اسم خاص أو لقب لشخص..ونفس الشيء نراه في فهرس الكتاب المقدس المسيحي، حيث تورد كلمة (مسِّيًا) في الجزء الخاص بأسماء الأعلام

فكلمة (مسِّيًا) وبحسب دلالات الأسماء ومناطق انتشارها، نجدها تنتمي إلى العالم العربي، بشبه الجزيرة العربية، تتكون من كلمتين (مسًا) و(يا)، حيث الكلمة الأولى وردت في نصوص العهد القديم بحالتين، حالة فتح الميم مع تشديد السين، وحالة تكسير الميم مع المحافظة على تشديد السين، ففي الحالة الأولى نجد –حسب رأي شرقاوي طبعا- كلمة مسًا Massa اسم علم لابن السابع لإسماعيل عليه السلام. وهي في الموسوعات والأطالس الجغرافية الكتابية اسم مكان إقامة مسًا Massa وذريته، التي تقع في الشمال الغربي لشبه الجزيرة العربية. أما في الحالة الثانية، فقد وردت في سفر التكوين '10: 30' حسب النسخة اليونانية السبعينية بصيغة μεσσε والتي تنطق بـ"مسًى" وفي النسخة العبرية بـ"ميشَا"، وهي تعني حسب موسوعة The new bible dictionary اسم مكان يشير إلى نهاية حدود المناطق التي كان يقيم فيها ذرية يقطين

والنهاية الحدودية الثانية هي ظفار، وهي حسب وثائق أخرى قديمة منطقة تقع في جنوب الجزيرة العربية. فكلمة "مسًا" حسب هذه المعلومات لم يتسم بها إلا العرب خاصة، ولم تعرف بقعة من الأرض تسمى "مسًا" إلا المنطقة العربية التي سكنتها ذرية "مسًا"بن إسماعيل بن خليل الله إبراهيم عليه السلام، وكان من ينتسب إلى هؤلاء القوم العرب أحفاد "مسًا" يطلق عليه اسم ""المِسّي"".

أما الجزء الثاني من كلمة "ميسِّيًا" ""يا"" فإنه وبحسب علماء الميتولوجيا والآثار العربية القديمة، يدل على اسم مختصر للإله السموات والأرض، الذي كانت تعبده بعض الشعوب السامية قديما، كالآراميين في سوريا.. والمديانيين الذين كانوا يعبدون بهذا الاسم المختصر إلههم "ياهو" في شمال غرب الجزيرة العربية القديمة..وهو نفس الإله الذي تعرف عليه النبي موسى أثناء فترة تغربه من مصر، وهو إله الإسرائيليين بعد خروجهم من مصر صحبة النبي موسى ، حسب التوراة[1]. وهذا الاسم عندما يلحق بآخر الأسماء يحذف منه في معظم الأحيان حرف الهاء، كـ"زنوبيا" ، وإرميا (الرب يؤسس) وأشعيا (الرب يخلص) وزكريا (الرب قد ذكر).

ومن ثم يكون معنى "ميسِّيًا" ذاك الإنسان العربي الإسماعيلي الذي له صلة بإله السموات والأرض "يا" الذي كانت تعبده العرب قديما، وإذا علمنا أن من معاني الاسم "مسًا" أو "ماسًا" أيضا هو الخاتم والواصل للشيء، أو الذي يربط الاتصال بين شيئين أو طرفين؛ أي بمعنى رسول أو مرسل، فإن المعني الحقيقي للكلمة "ميسِّيًا" سيكون هو "رسول يا" أو "نبي يا" الخاتم.

وهذا الاسم العربي القديم "ميسِّيًا" لم يوصف به في الكتاب المقدس إلا شخص واحد، ذكر اسمه في سفر دانيال مرتين وفي إنجيل يوحنا مرتين بصيغة "ميسِّيًا الرئيس" أو "ميسِّيًا الأمير" أي بمعنى إمام المرسلين. والتاريخ المدون لم يعرف نبيا عربيا إسماعيليا أرسل من قبل الله إلى الناس كافة، إلا النبي محمد صلي الله عليه وسلم إبان القرن السابع الميلادي، فهو النبي العربي الوحيد من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم خليل الله عليهم صلوات الله وسلامه، فهو النبي الخاتم وإمام المرسلين، بشهادة القرآن الكريم، ونبوءات سفر دانيا وإنجيل يوحنا.

فحاصل الكلام إذن أن كلمة "ميسِّيًا" اسم لعلم لا يمكن ترجمته إلى كلمة أخرى لها نفس المعنى، وأن ترجمتها إلى "المسيح" لا يستقيم والمعنى الوارد في سفر دانيال وإنجيل يوحنا، كما أنها ودون تعسف عبارة تنتمي إلى العالم العربي القديم، في شبه الجزيرة العربية بأكملها، شمالا وجنوبا ووسطا، وهي بكل التأكيد تشير إلى البشارة بالنبي العربي الإسماعيلي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم.

[1] المزمور رقم "68: 4" :""غنوا لله ورنموا لاسمه. أعدوا الطريق للراكب في القفار باسمه ياه واهتفوا أمامه"".

خاتمة:

إن للباحث جمال الدين شرقاوي، حسبما ظاهر ومبثوث في كتاباته وأبحاثه، ميزة خاصة، تميزه عن باقي الباحثين المسلمين المعاصرين، في مجال دراسة الأديان، الذين فضلوا التقليد وتكرار التراث، والاشتغال بالردود على الشبهات التي تثار ضد الإسلام والمسلمين، عن التجديد والبحث كما تفرضه الظرفية المعاصرة. هذه الميزة تتجلى في كون الباحث يهتم بدراسة أسفار الكتب المقدسة في لغاتها الأصلية، باعتماد الدراسات اللغوية، وبالأخص علم إتيمولوجيا لفك وفهم عدة قضايا، تعد جوهرية لدى المسيحيين والمسلمين على السواء، التي أهملت دون البحث أو التمحيص نتيجة التقليد، سواء من قبل المسيحيين أنفسهم أو من قبل العلماء والباحثين المسلمين.

مراجع الدراسة:

أولا: الكتب:

-هاروني أم داوودي، جمال الدين شرقاوي ، مكتبة النافذة، ط.1. 2006.

-المسيح والمسيا مبحث جديد،جمال الدين شرقاوي، مكتبة النافذة، ط.1. 2006.

-معالم أساسية في الديانة المسيحية، جمال الدين شرقاوي،كتاب بصيغة PDF على الموقع: www.muslim-library.com.

-ولكن شبه لهم نقض أسطورة صلب المسيح وقيامته، جمال الدين شرقاوي، مكتبة النافذة، ط.1. 2006.

-يحيى أم يوحنا، دراسة جديدة حول النبي الحصور يحيى بن زكريا عليه السلام، جمال الدين شرقاوي، مركز التنوير الإسلامي، دت، دط.

-ثانيا: المجلات:

-الأصول الابستيمولوجية والأنطولوجية لمصطلحي التأثيل والترسيس في اللغة، سليم عواريب، مجلة مقاليد العدد 09، ديسمبر 2015.

-الاشتقاق اللغوي وجوانب متعلقة به لدى اللغويين والنحويين العرب القدامى، مراد موسى، المجلة (مجمع اللغة العربية حيفا)، عدد 4، 2013.

-ثالثا: المواقع إلكترونية:

-حوار مع البحاثة جمال الدين شرقاوي، موقع مكتبة المهتدين، 18-06-2013، www.al-maktabeh.com/play?catsmktba=2373

-الموسوعة العربية https://www.arab-ency.com